قبيلة عنزة ودورها في تكوين الهوية السياسية للخليج[23]

الأحلاف القبلية وأهميتها في تاريخ البحرين

مثلت ظاهرة قيام التحالفات بين قبائل شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام مظهراً من مظاهر التيقظ، وإرهاصاً لقيام الدولة العربية الموحدة تحت راية الإسلام؛ فقد دفعت الصراعات الكبرى بين الحبشة وفارس والروم في القرنين الخامس والسادس الميلاديين بالقبائل العربية للتوجه نحو تشكيل مجتمع موحد، وظهرت بوادر النضج الاجتماعي والسياسي المبكر من خلال تحول أسلوب المعيشة عند العرب من صفتها الجماعية البدائية إلى التنظيم الأكثر نضجاً، والمتمثل في تشكل التحالفات بين مختلف القبائل كأساس لتكوين الوحدات الاجتماعية والكيانات السياسية، إذ أن رابطة التحالف كانت تقوم على أساس المصلحة المشتركة للقبائل العربية، وتدفعها لأن تتحد فيما بينها لمواجهة أخطار تواجهها بشكل جماعي.[24]

وانتشرت هذه الظاهرة انتشاراً واسعاً في أرجاء شبه الجزيرة العربية؛ فقامت أحلاف عديدة مثل: حلف الفضول وحلف الأحابيش، وحلف المطيبين، وحلف الرباب، وكانت هذه التحالفات تتضمن ترتيبات اقتصادية وأمنية، بالإضافة إلى معالجتها للشؤون الإدارية وتنظيم مؤسسات الحكم. ومن أبرز الأمثلة على ذلك: توحد قبائل العرب لطرد الأحباش من اليمن، وانتصار تحالفهم الكبير على الفرس في يوم ذي قار سنة 609م.

وقد مثلت هذه التطورات من محاورها الاجتماعية والسياسية والثقافية إرهاصات النبوة، ومقدمات الإصلاح الشامل الذي جاء الإسلام به ليؤلف بين العرب ويضمهم في وحدة سياسية ذات طابع حضاري.[25]

ولم يكن إقليم البحرين وأرخبيل جزرها في منأى عن هذه الأحداث؛ فقد تشكل مجتمع البحرين في تلك الفترة من خلال تطورين مهمين:

أ- حدوث هجرات سكانية واسعة من وسط شبه الجزيرة العربية باتجاه السواحل.

ب- قيام تحالفات قبلية نتج عنها ظهور كيانات سياسية ونظم إدارة محلية.

---

[23] نشر هذا البحث في: **صحيفة الوطن**، السنة الرابعة، الأعداد 1219-1220-1221، بتاريخ: 12-13-14 أبريل 2009، البحرين.

[24] برهان الدين دلو (2004) **جزيرة العرب قبل الإسلام**، دار الفارابي، بيروت. ص.ص 813-815.

[25] المرجع السابق، ص 819.

ونتيجة لموقعها في طريق مواصلات التجارة العالمية، واتصالها مع المراكز الحضارية الرئيسة في العالم القديم، فقد برزت ظاهرة التحالفات القبلية في البحرين كأساس لتشكيل الكيانات السياسية العربية في مرحلة ما قبل الإسلام؛ إذ شهدت البحرين بواكير التحالفات التي قامت على إثر انحسار سلطة الجرهائيين، واستيطان العديد من القبائل العربية، وكان أول القادمين جماعة من الأزد، ثم قدمت عليهم قبائل أخرى، فتحالفوا فيها على التنوخ (وهو: المقام؛ اشتقاقاً من إناخة الإبل) وتعاقدوا على التآزر والتعاون فيما بينهم فصاروا يداً على الناس، وضمهم حلف تنوخ الذي كان يتكون من عشر قبائل رئيسة من العرب القحطانية والعدنانية بزعامة مالك بن فهم القضاعي.

وقد تحدث ابن الأثير عن عشائر حلف تنوخ بقوله: "تحالفوا على التنوخ وهو المقام، وتعاقدوا على التناصر والتساعد، فصاروا يداً واحدة، وضمهم اسم تنوخ".[26]

وبعد أن قضى التنوخيون على بقايا جرها، اكتسبوا في البحرين حياة الحضر، واندمجوا في مدنها، كما أعطوا البحرين لهجتهم العربية التي تطورت إلى الفصحى فيما بعد.

وعلى إثر تفكك حلف تنوخ وهجرة أغلب أطرافه إلى العراق، خضعت البحرين لحكم إمارة كندة، وشهدت هذه الفترة قدوم هجرات أخرى من بطون ربيعة، ومن أشهرها: بكر بن وائل، وعبد القيس، الذين ثاروا في العقد السادس من القرن الخامس الميلادي على حكم إمارة كندة، وتمكنوا من القضاء عليها في وقعة خزازى الشهيرة التي انتصرت فيها القبائل العدنانية على القبائل القحطانية، مما أدى إلى سيطرة قبائل ربيعة على نجد وإقليم البحرين، ومن أبرزها تغلب وبكر وعنزة وعبد القيس وضبيعة والنمر بن قاسط، وغيرها من القبائل التي شكلت حلف لهازم بزعامة كليب بن وائل الذي أصبح أميراً على البحرين.[27]

وقد ترك هذا التحالف أثره على البحرين بصورة كبيرة خلال مراحل تاريخها القديم والحديث، حيث يمكن إرجاع أغلب الكيانات السياسية والأصول العربية لأهل البحرين قبل الإسلام إلى حلف لهازم الذي قام على أنقاض حلف تنوخ في القرن السادس الميلادي، وكانت قبيلة عنزة من أهم أطراف ذلك الحلف.

---

[26] علي بن محمد الشيباني بن الأثير (ت 630هـ) **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ. 1/340.

[27] محمد العزب موسى (1989) **صفحات من تاريخ البحرين**، البحرين. 1/162-163.

ومنذ تلك الفترة وحتى قيام حلف العتوب في العصر الحديث؛ ارتبطت الهوية السياسية للبحرين بقبيلة عنزة ارتباطاً وثيقاً، وشكلت عشائرها جزءاً أساسياً من التركيبة السكانية ومؤسسات الإدارة والحكم في إقليم البحرين وأرخبيل جزرها على حد سواء.

قبيلة عنزة ودورها السياسي في البحرين قبل الإسلام

بعد أن فتح الاسكندر بلاد الفرس وقتل دارا آخر ملوك الإخمينيين في القرن الرابع قبل الميلاد فرق أقاليم فارس بين ملوك الطوائف، واستغلت بعض القبائل العربية فرصة المنازعات الداخلية فاستوطنوا السواحل الجنوبية من فارس، واستقروا في منطقة كرمان، متخذين من البحرين قاعدة انطلاق للعبور باتجاه الساحل الشرقي للخليج العربي.

وفي الثلث الأول من القرن الثالث الميلادي جاء أزدشير بن بابك فأعاد الوحدة المركزية لبلاد فارس، وأخضع القبائل العربية فيها، ثم عبر مياه الخليج العربي لإخضاع قبائل الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، مما أدى إلى هجرات واسعة فراراً من حملة أزدشير، وأخليت البحرين من التنوخيين الدين هاجروا باتجاه العراق.

وفي القرن الرابع الميلادي شن سابور ذي الأكتاف حملة ضد البحرين في محاولة لإخضاع جميع الأقاليم العربية لحكمه، وبعد انتهاء حملته قام بتوطين قبائل عربية في إقليم البحرين وعلى رأسهم: تميم وبكر بن وائل وعبد القيس، وبنو تغلب الذين أسكنهم في هجر والخط ودارين، وخضعت البحرين لنفوذ المناذرة حلفاء الساسانيين في تلك المرحلة.

وفي القرن الخامس الميلادي تشكل حلف لهازم عقب معركة خزازى وسيطرت القبائل العدنانية من ربيعة على إقليم البحرين، وكان ذلك التحالف يضم: تغلب وبكر بن وائل وعنزة وعبد القيس وضبيعة والنمر بن قاسط. وقد فصل الطبري في أهم قبائل ذلك الحلف بقوله: "اللهازم، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة، وشيع اللات وحلفاؤها عجل، وآل ذهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر، وذهل ثعلبة وحلفاؤها ضبيعة بن ربيعة بن نزار، أربع قبائل وأربع قبائل، وكان هذا الحلف في أهل الوبر في الجاهلية، فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف لأنهم أهل مدر، فدخلوا في الإسلام مع أخيهم عجل، فصاروا لهزمة".[28]

---

[28] محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت. 2/57.

فوجود قبيلة عنزة في البحرين يرتبط بقيام حلف لهازم في غضون القرن الخامس الميلادي، حيث تشير المصادر إلى أن غالب بطون قبيلة عنزة كانوا يقيمون في الشمال الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وكان يقيم بعضهم في إقليم اليمامة.

وقد أكد ياقوت الحموي في معجم البلدان بأن تاريخ قبيلة عنزة في الشمال يرتبط ارتباطاً وثيقاً في مرحلتي الجاهلية وفجر الإسلام مع أبناء عمومتهم من قبيلة بكر بن وائل في البحرين، حيث كانوا يتجاورون في السكن، ومواطنهم جميعاً في شرقي شبه الجزيرة العربية.[29]

كما تعرض أبو الفرج الأصفهاني للحديث عن ارتباط عنزة مع بكر بن وائل بالبحرين إبان العهد الجاهلي في كتابه الأغاني بقوله: "بطون بكر بن وائل على جذمين: جذم يقال له الذهلان، وجذم يقال له اللهازم، فالذهلان هم بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل، وبنو ضبيعة بن ربيعة، واللهازم: قيس بن ثعلبة وتيم اللات بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة".[30]

وقد ساعد حلف لهازم على تماسك قبائل بني وائل لعدة قرون، إذ أن قبيلة عنزة تلتقي مع بكر بن وائل في أسد بن ربيعة بن نزار، ونظراً لكونها قبيلة صغيرة في ذلك الوقت، فقد اضطرت قبيلة عنزة للدخول في التحالف مع بكر، وشاركت في كل أيام بكر بن وائل بدءاً بحرب البسوس وانتهاء بيوم ذي قار، وفي يوم ذي قار الشهير انتصر بنو شيبان وحلفائهم على الفرس، وحفظت مصادر الشعر العربي قصائد كثيرة قيلت في هذه المعركة. وتشير المصادر إلى أن عنزة في الجاهلية كانت تشترك مع قبائل أخرى من ربيعة في عبادة صنم يدعى: المحرق.[31]

وربط بعض المؤرخين مسميات المدن الرئيسة في البحرين بالفترة التي ظهر فيها تحالف عنزة مع بكر بن وائل، حيث يعتقد بأن تسمية جزيرة البحرين الرئيسة باسم "أوال"، يعود إلى صنم كان يعبده بنو وائل، وبأن قرية "دار كليب" قد استمدت اسمها

---

[29] ياقوت الحموي (1906) **معجم البلدان**، تحقيق محمد أمين الخانجي، القاهرة. 2/811.

[30] نقلاً عن: مشعل العنزي (2008) **موسوعة قبائل عنزة الوائلية في الجزيرة العربية**، الدار العربية للموسوعات. ص 22.

[31] م.أ. أوبنهايم، أ. برونيلش، و.ن. كاسل (2004) **البدو**، تحقيق وتقديم ماجد شبر، الوراق، لندن، 1/122.

من: كليب بن وائل زعيم ذلك الحلف. كما ظهرت عبادة صنم "جد" الذي ارتبطت مسميات بعض قرى البحرين به آنذاك.[32]

وفي الوقت الذي يصعب الجزم فيه بصحة انتساب مناطق البحرين إلى أصنام العرب في الجاهلية، إلا أن الأمر المؤكد هو تواجد قبيلة عنزة في البحرين منذ القرن الرابع الميلادي، وارتباطهم السياسي والديني والاجتماعي مع بكر بن وائل.

قبيلة عنزة ودورها السياسي في البحرين إبان العصر الإسلامي

مرت قبيلة عنزة في تاريخها بثلاث هجرات رئيسة، إذ كانت هجرتهم الأولى إلى البحرين في حدود القرن الرابع الميلادي، وفي هذه الفترة كان مجتمع البحرين يتكون من قبائل عربية قامت على أنقاض حلف تنوخ ومن أبرزها: قبيلة عبد القيس بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وقبيلة بكر بن وائل، بالإضافة إلى عشائر من بني تميم بن مر بن أد بن إلياس بن مضر، الذين كان لهم امتداد كذلك في نجد والبصرة واليمامة.[33]

وقد ورد في مسند الإمام أحمد عن عكرمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "لما أمر رسول الله صلى الله علية وسلم بأن يعرض نفسه على القبائل من العرب خرج وأنا معه، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر، وكان رجلاً نسابة، فسلم فردوا عليه، فقال: ممن القوم؟ قالوا من ربيعة، فقال من هامتها أم من لهازمها؟ قالوا بل من هامتها العظمى"، ولما عرض عليهم أبو بكر الإسلام طلبوا التريث وأن يعودوا إلى قومهم ليستشيروهم في الأمر.[34]

---

[32] عبد الله بن خالد الخليفة وعبد الملك يوسف الحمر (1982) **البحرين عبر التاريخ**، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، البحرين. ص98-99.

[33] خير الدين الزركلي (ت1396 هـ) **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1400 هـ. 2/88.

[34] عماد الدين أبي الفداء بن كثير (ت 774 هـ) **البداية والنهاية**، القاهرة، 1358هـ. 3/142-145.

ولكن قبيلة عبد القيس فازت بالسبق في قبول الدعوة الإسلامية فقدمت وفود منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة في السنة الثامنة للهجرة وأعلنوا إسلامهم.

أما قبائل بكر بن وائل فقد شارك أغلبهم في حركة الردة، وحاربهم أبو العلاء الحضرمي وهزمهم مستعيناً بعبد القيس، فتركوا البحرين ورحلوا إلى العراق، إلا أن المصادر التاريخية تؤكد انفصال قبيلة عنزة عن بكر بن وائل ودخول أغلب رجالها في الإسلام، حيث بقيت عشائر عنزة في البحرين وشارك رجالها في الجيوش الإسلامية، فتحدثت المصادر عن انضمام بطون من ربيعة إلى جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة الجمل، وأبلت ربيعة بلاء حسناً، بزعامة مسلم بن عبد الله العجلي الذي قتل في تلك المعركة.

وإلى مسلم هذا تنتسب بطون شهيرة من عنزة مثل الرولة وبني وهب، وقد عد أوبنهايم ذلك علامة لتحلل حلف لهازم، وظهور قبيلة عنزة بصورة أكبر على مسرح الأحداث في شبه الجزيرة العربية.[35]

وقد بقيت بطون من عنزة في البحرين حتى مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حيث ارتحل الكثير منهم في عهد الدولة العيونية إلى الحجاز، فتحاربوا مع الهاشميين الموجودين في خيبر، كما ورد في كتاب ابن المقرب العيوني، ثم انتشروا في نجد مرة أخرى منذ عام 850 هـ/1446م، وعرفوا في تلك الفترة بأولاد بني وائل، وهذه هي الهجرة الرئيسة الثانية لعشائر عنزة.

وفي هذه الفترة انقسمت قبيلة عنزة إلى قسمين رئيسين:

أ- ضنا مسلم بن عبد الله العجلي: ومنهم الجلاس وبني وهب. ومن الجلاس يتفرع الرولة الذين شكلوا مع الفدعان أكبر القبائل الرحل في بادية الشام.

ب- ضنا بشر بن قيس التغلبي، وهو من كبار التابعين وفضلائهم، وقد سمع من عدد من الصحابة منهم أبو الدرداء رضي الله عنه، وتفرع من ضنا بشر بطون عديدة مثل: عبيد والعمارات الذين تميزوا بكونهم أكثر تحضراً ومدنية من الرولة والفدعان. وتفرع من العمارات بطون شهيرة على رأسها السلقا والدهامشة والجبيل، ومركزهم تاريخياً في شرقي شبه الجزيرة العربية.[36]

---

[35] أوبنهايم (2004) **البدو**، مرجع سابق. 1/122.

[36] المرجع السابق، 1/119.

قبيلة عنزة ودورها السياسي في تاريخ البحرين الحديث والمعاصر

بمجرد تفكك حلف لهازم، واضمحلاله من الخارطة السياسية في شرقي شبه الجزيرة العربية بدأت تظهر ملامح تشكل حلف جديد، هو حلف العتوب.

والعتوب جمع عتبي؛ وهو حلف تشكل في نهاية القرن السابع عشر الميلادي ويضم أفخاذاً كثيرة تنتمي لعدة قبائل هاجرت من مساكنها في نجد واستقرت على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية.

وقد اختلف المؤرخون في سبب تسمية هذا الحلف بالعتوب فمنهم من رأى بأن كلمة العتوب قد اشتُقَّت في اللغة العربية من فعل: عتب أي انتقل وارتحل، ويتفق هذا المعنى مع صفة الجماعة التي تحمل هذا الاسم والتي انتقلت من نجد واستقرّت على سواحل الخليج العربي قرب البحرين، وقد نقل ديكسون عن الشيخ عبد الله السالم الصباح سبب التسمية بأن: "أجداده سموا عتوباً لأنهم عتبوا إلى الشمال"، فالتسمية ترجع إلى الأصل الثلاثي عتب وهو فعل معناه: الاجتياز من موضع إلى موضع، أي كثرة الترحال من مكان إلى آخر.[37]

ويرى بعض المؤرخين أن كلمة العتوب هي نسبة إلى: بني عتبة وهم فرع من فروع قبيلة عنزة انضمت إليهم عشائر مختلفة تنتمي إلى قبائل عديدة هاجرت من مساكنها في نجد، واستقرّت على ضفاف الخليج العربي، وتحالفت فيما بينها وتصاهرت وأصبحت تمثل قبيلة العتوب الموحدة. ومن عشائر العتوب من ينتمي إلى قبيلة عنزة، ومنهم من ينتمي إلى قبيلة تميم، ولذلك فقد سمي هذا الحلف نسبة إلى أقوى عشائره وهم بنو عتبة.[38]

وتجمع المصادر على أن أبرز عشائر حلف العتوب هم آل خليفة وآل الصباح والجلاهمة، ويعود نسبهم إلى السلقا من العمارات، من تغلب بن وائل، من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.[39]

وقد قدمت قبائل بني عتبة من الهدّار وهو أطول أودية الأفلاج (ومعناها السيل الذي يسمع هديره لتدفق مياهه وغزارته)، وكانت قبيلة عنزة قد انتشرت في المنطقة الممتدة

---

[37] عبد الله بن خالد الخليفة وعلي أبا حسين (1991)، **البحرين عبر التاريخ**، الجزء الثاني، البحرين. ص 173.

[38] فائق حمدي طهبوب (1983) **تاريخ البحرين السياسي 1783-1870**، الكويت. ص 34.

[39] بدر الدين عباس الخصوصي (1988) **دراسات فى تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، الكويت. 2/99.

ما بين خيبر إلى الأفلاج حيث كان بعض عشائرها يسكنون الأفلاج منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.[40]

وتشير المصادر إلى أن تحالف العتوب بدأ يتشكل في شرقي شبه الجزيرة العربية، في غضون العقد السابع من القرن السابع عشر الميلادي، حيث قامت علاقة وطيدة بينهم وبين الخوالد بزعامة براك بن غرير الخالدي آنذاك، ولذلك فإنه لا بد من النظر إلى تشكل ذلك الحلف -الذي تزعمته عشائر من عنزة- بالتزامن مع أحداث الهجرة الكبيرة الثالثة لقبيلة عنزة، ويحدد المؤرخون بأنها كانت في نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

والمعروف قطعاً هو أن العمارات قد استقروا بصورة جماعية في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة.[41] وبعد انهيار دولة الخوالد في نهاية القرن الثامن عشر، تحركت عشائر السلقا (وهم من أهم فروع العمارات من عنزة) من مواطنهم في شرقي شبه الجزيرة العربية متجهين نحو الشمال، وقاموا في هذه الأثناء بتقديم الدعم لقوات الدولة السعودية الأولى في حملاتها في العراق.[42]

وبالتالي فإن حركة هجرات بني عتبة من قرية الهدار في القرن السادس عشر الميلادي، يجب أن ينظر إليها من منظورها الأوسع باعتبارها حركة عودة عشائر السلقا من العمارات إلى شرقي شبه الجزيرة العربية بعد هجرتهم منها في عهد الدولة العيونية إبان منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وهذه النظرة الأشمل يمكن أن تساعد في تفسير ظاهرة مهمة، تتمثل في: سرعة تأقلم العتوب واندماجهم مع مجتمعات الساحل الغربي للخليج العربي، وكذلك انخراطهم في النشاط الاقتصادي، من خلال الغوص على اللؤلؤ، ومزاولتهم لحركة النقل البحري وامتلاكهم لأسطول كبير يتكون من مائة وخمسين سفينة في غضون فترة لا تزيد عن ثلاثين سنة على مغادرتهم إقليم الأفلاج وفق وثيقة عثمانية يعود تاريخها إلى عام 1701.[43]

---

[40] مي محمد الخليفة (1996) **محمد بن خليفة 1813-1890، الأسطورة والتاريخ الموازي**، بيروت، ص. ص 239-241.

[41] أوبنهايم (2004) **البدو**، مرجع سابق، 1/126. وبوركهارت، **رحلات في الجزيرة العربية**، 2/404،

[42] المرجع السابق، 1/129، و155.

[43] أرشيف رئاسة الوزراء العثماني فى اسطنبول: دفاتر المهمة رقم 111، ص 713، من علي باشا والي البصرة إلى السلطان العثماني بتاريخ 21 رجب 1113 هـ، الموافق 1701م.

وبالإضافة إلى نشاطهم في مجال الملاحة البحرية؛ سيطر العتوب على حركة النقل البري في تلك المناطق عقب انهيار دولة الخوالد حيث كانوا يؤجرون جمالهم لمن يريدون ترحيل محاصيلهم من الحقول، بالإضافة إلى عمليات النقل الحكومية والمشاركة في حملات الحج.[44]

أما على الصعيد السياسي والإداري فقد نجح العتوب في تشكيل كيانات سياسية في كل من: فريحة والكويت والزبارة والدمام بالإضافة إلى تأسيس دولة لهم في البحرين.

فهل يعقل أن تتمكن عشائر طارئة، في غضون فترة زمنية لا تتعدى ثلاثة عقود، من تأسيس البنية الاقتصادية والتركيبة السكانية لسواحل الخليج العربي؟

وهل يمكن أن تشكل هذه العشائر الطارئة كيانات سياسية تعيش لفترة تتجاوز ثلاثة قرون وذلك من خلال حركة هجرة فرضتها عليهم ظروف القحط وتفشي وباء الطاعون؟

الإجابة هي أنه لا يمكن أن يهيمن تحالف قبلي طارئ على دفة الحكم والاقتصاد في غضون فترة قصيرة لا تتعدى الثلاثة عقود، خاصة إذا أخذنا في الحسبان أن البنية التحتية للكيانات التي نشأت تحت ظل العتوب لم تكن تقوم على إدارة دفة الحكم فحسب، بل شملت تولي شؤون التجارة والمواصلات البرية والبحرية على حد سواء، ولا يمكن لعنصر سكاني طارئ أن يسهم بهذا العمق التأسيسي دون أن تكون له جذور تاريخية وتواجد قديم في المنطقة.

وبناء على ذلك فإن الكيانات السياسية التي أسسها العتوب كانت تستند إلى تواجدهم التاريخي في شرقي شبه الجزيرة العربية منذ القرن الرابع الميلادي، حيث كانوا يشكلون عنصراً سكانياً أصيلاً في البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لإقليم البحرين وأرخبيل جزرها.

والحقيقة هي أن هناك حلقات مفصلية في تاريخ العتوب لا يزال البحث التاريخي المعاصر قاصراً دون سبر أغوارها، منها ما يتعلق بعودة الشيخ محمد بن خليفة (ت1772) إلى شبه جزيرة قطر سنة 1762، ونجاحه الباهر في تأسيس الزبارة وبسط حكمه على قطر، وذلك بعد نجاح والده الشيخ خليفة (ت1708) في الإسهام في تأسيس الكويت، بالإضافة إلى تمكن العتوب في تلك الفترة المبكرة من إقامة تحالفات

[44] أوبنهايم (2004) **البدو**، مرجع سابق، 1/131.

سياسية قوية مع القوى المجاورة، ودخولهم طرفاً في معترك الصراع السياسي داخل البحرين بين آل حرم وآل مذكور.

ويقودنا ذلك للتنبيه إلى ضرورة عدم الخلط بين حقيقة أن حلف العتوب هو تحالف قبلي من جهة، وأن الأفراد المؤسسين لهذا الحلف ينتمون في أصولهم إلى عناصر سكانية يعود تاريخ وجودها في البحرين إلى القرن الرابع الميلادي من جهة أخرى؛ فزعماء هذا الحلف هم بنو عتبة من جميلة من السلقا من العمارات من ضنا بشر بن قيس من قبيلة عنزة بن أسد، وهم بذلك من أكثر أهل البحرين أصالة، وأقدمهم من حيث الانتماء إلى أرضها.

هذا هو التسلسل الذي يجب من خلاله فهم تطور الأحداث السياسية في البحرين منذ مطلع القرن الثامن عشر. والخطأ الذي يقع فيه بعض المؤرخين اليوم هو الحديث عن: ظهور مفاجئ في إقليم البحرين لعشائر من عنزة قدموا من الهدار، وشكلوا كيانات سياسية في الخليج العربي، والحقيقة هي أنه لا يمكن لعنصر طارئ أن يحل بهذه الصورة المفاجئة ويشكل كيانات سياسية تمتد عبر الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وتحديداً في إقليم البحرين الذي يعد أهلها من أكثر سكان العالم اهتماماً بالقبيلة والنسب.

لقد سجل التاريخ تمكن بعض العناصر القبلية الطارئة من تشكيل كيانات سياسية لفترة وجيزة، ولكنه لم يحفظ لنا حالة واحدة تتمكن فيها قبيلة طارئة من تأسيس مجموعة كيانات سياسية تعيش لفترة تزيد عن ثلاثمائة سنة دون أن يكون لها أسس وطيدة في ذلك الإقليم من حيث استمرارية الهوية وأصالة الانتماء.

فقد استوطنت قبيلة عنزة البحرين منذ دخولها طرفاً أساسياً في حلف لهازم إبان الفترة الجاهلية، واستمر وجودها في المنطقة إبان الفترة الوسيطة، وبالتالي فإن النسق الطبيعي لتطور الأحداث السياسية في مطلع العصر الحديث هو استعادة قبيلة عنزة دورها الرائد، في إقليم البحرين وأرخبيل جزرها، وذلك من خلال تشكيل حلف قبلي جديد عقب انهيار سلطة الجبور على يد البرتغاليين.

ففي حالة الفراغ السياسي الذي طرأ عقب انهيار الوجود البرتغالي، وانشغال القوى الإقليمية بالصراع فيما بينها؛ تحركت العناصر السكانية الأصيلة لملء ذلك الفراغ، فتشكل حلف العتوب الذي ضم عشائر من عنزة (بني عتبة، الخليفات) وتميم وبني سليم (آل بنعلي)، وتعاونت معهم عشائر الخوالد (الذين يمثلون الامتداد الطبيعي لعبد القيس في العصور الحديثة) لتأسيس الدولة الخليجية الحديثة، وتنظيم الحياة الإدارية والموارد الاقتصادية فيها.

ولم تأت تلك القوة العسكرية التي تمتع بها العتوب، والهيمنة على حركة التجارة بشقيها البري والبحري من فراغ، بل كانت تمثل امتداداً للتواجد السكاني الذي كان قائماً ما بين فترة تشكل حلف لهازم وتشكل حلف العتوب، وكان التحالفان كلاهما قد قاما على تعاون وثيق بين بطون بكر بن وائل وعبد القيس، بالإضافة إلى انضمام عشائر من تميم وبني سليم لهذان التحالفان. وبعد أن هيمنت عشائر عبد القيس (من العيونيين والعصفوريين والجبور) على مؤسسات الحكم لمدة تزيد عن خمسة قرون، استطاعت عشائر عنزة أن تتولى السلطة السياسية على أنقاض سلطة الجبور في نهاية القرن السابع عشر الميلادي.

في تحليل بديع لاستخدامات الذاكرة التاريخية في البحرين تحدث د. نادر كاظم عن ظاهرة أسماها: "ظاهرة الشتات"، وذكر عدة أحداث تاريخية دفعت بعوائل محلية للخروج من البحرين وارتحالها إلى أقاليم مجاورة في بلاد فارس والعراق والأحساء وشبه جزيرة قطر وعمان. وعندما استقرت الأمور وهدأت الأوضاع السياسية شرعت هذه العوائل في العودة إلى أوطانها،[45] وقد ساعد على تكرر تلك الهجرات ما تمتعت به البحرين من اتصالات إقليمية واسعة، دفعت بعناصر سكانية محلية لمغادرة البحرين في فترات حرجة من تاريخها السياسي، ومن ثم العودة مرة أخرى للاستقرار في أوطانها بمجرد زوال أسباب التغرب الذي حافظت في غضونه تلك العناصر على هويتها وانتمائها.

وفي هذه الأثناء استمرت حركة الهجرات الجماعية وقيام التحالفات القبلية في تشكيل العنصرين الأكثر حسماً في البنية السياسية والاقتصادية لمجتمع البحرين. والحقيقة هي أنه لا يمكن تحقيق التجانس الاجتماعي في ثقافتنا المعاصرة إلا من خلال أخذ هذه العناصر الهامة بعين الاعتبار.

وبناء على هذه المعطيات؛ استنتج د.كاظم بأن الحل الوحيد للتجانس بين مختلف الجماعات السكانية هو أن تبحث هذه الجماعات عن شكل محتمل من: "التصالح الثابت" فيما بينها، مشيراً إلى رأي إدوارد سعيد في أمثل طريقة لتحقيق التجانس الاجتماعي بقوله:

---

[45] نادر كاظم (2008) **استعمالات الذاكرة**، مكتبة فخراوي، البحرين، الفصل الرابع: "سيرة الشتات والخراب"، ص.ص 167-196.

"ليس ثمة حل وارد إلا إذا واجهت كل جماعة تجربتها في ضوء تجربة الآخر".[46]

[46] المرجع السابق ص 209، نقلاً عن إدوارد سعيد: **التلفيق، الذاكرة والمكان**، ص 107.